المقتبس

غرة رجب سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

« ابن الحناط الكفيف »

كلما نظرنا في تراجم رجال الاسلام نظر الناقد المستبصر يتجلى لنا ان من نفعوا الأمة نفعاً حقيقياً هم في الاكثر ممن كانت لهم ولو مشاركة قليلة في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية لان هذه الفنون تلقح فكراً جديداً وتكبر دائرة تصور المشتغل بها ولو نظر فيها نظرة إجمالية فما الحال به اذا احكمها كل الاحكام . وذاقها كما يذوقها ارباب الاحلام .

خذ لك مثالاً من ترجمة الرازي وابن تيمية والغزالي وغيرهم فقد كانوا من المتمكنين من علوم الاوائل وتواريخهم لذلك كتبت لهم الاجادة في كل ما أثر عنهم من المصنفات الدينية وغيرها . وصاحب الترجمة ابو عبد الله ابن الحناط الاندلسي هو احد الامثلة في هذا الباب إلا انه انصرف بكليته الى علوم الدنيا فافاد واستفاد ولم يصده فقد البصر عن توفر البصيرة في العلم

والادب . ولا غرو فقد كان عصره وقطره مبعث النور ومنبثق الفضائل .

قال في الذخيرة : هذا زعيم من زعماء المصر كان ورئيس من رؤساء النظم والنثر في ذلك الاوان . وجمرة فهم لفحت وجوه الايام . وغمرة علم سالت باعلام الانام فكم له من وقذة لا يبرأ أميمها . ونكزة لا يسلم سليمها . وكانت بينه وبين أبي عامر بن شهيد بعد تمسكه باسبابه . وانحياش كان الى جنابه . مناقضات في عدة رسائل وقصائد اشرقت اباعامر بالماء . وأخذت عليه بفروج الهواء . وقد اوردت من ذلك ما يكون انطق لسان بنباهة ذكره واعدل شاهد على براعة قدره

وقد ذكره ابن حيان في فصل من كتابه فقال : وفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة نعي الينا ابو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط الشاعر الضرير القرطبي بقية الادباء النحارير في الشعر . هلك في الجزيرة الخضراء في كنف الامير محمد بن القاسم . وهلك اثره ابنه الذي لم يكن له سواه بمالقة فاجتث أصله . وكان من اوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والاسلام . بصيراً بالآثار العلوية . عالماً بالافلاك والهيئة حاذقاً بالطب والفلسفة . ماهراً في العربية واللغة والآداب الاسلامية وسائر التعاليم الاوائلية . . .

من رجل مرهق في دينه مضطرب في تدبيره سيء الظن بمعارفه شديد الحذر على نفسه فاسد التوهم في ذاته . عجيب الشأن في تفاوت احواله . وولد أعشى ضعيف البصر متوقد الخاطر فقرأ كثيراً في حال عشاه ثم طفئ نور عينيه بالكلية فازداد براعة . ونظر في الطب بعد ذلك فانجح علاجاً . وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده فيهتدي منها الى ما لا يهتدي اليه البصير ولا يخطئ الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط وتطبب عنده

الاعيان والملوك والخاصة فاعترف له بمنافع جسيمة وله مع ذلك اخبار كثيرة مأثورة

عميان يؤلفون

تكاد تكون قاعدة لا تتخلف ان من فقد احدى حواسه تقوى فيه غيرها فمن فقد بصره مثلاً تقوى ذاكرته ومن فقد سمعه يشتد ادراكه . ولما قرأت ترجمة هوميروس الشاعر اليوناني وعلمت انه كان ضريراً وقرأت ترجمة ملتون الشاعر الانكليزي وعلمت انه كان كذلك وقرأت ترجمة ابي العلاء المعري الشاعر العربي وقلت انه كان مثلهما وقرأت ترجمة ابن الخياط وقع في نفسي ان اكتب مقالاً في عميان صنفوا واجادوا ايام كان العرب يؤلفون ويجيدون

فمنهم قتادة بن دعامة كان اكمه وكان يقول لقائده سعيد بن أبي عروبة تجنب بي الخلق التي فيها الخطأ فانه ما وصل الى سمعي شيء فاداه الى قلبي فنسيه . وكذلك كان بشار بن برد رأس طبقة شعراء المولدين اكمه وغاية في ذكائه وتوقد خاطره . وكان ابن الثماني نحوياً الف فيه وانتفع بالاشتغال عليه جمع كثير توفي سنة ٤٤٢ هجرية وكان شمس الدين بن جابر الاندلسي ضريراً وهو صاحب بديعية العميان وله امداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح الفية بن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر جيد توفي سنة ٧٨٠ . وكان ابو بكر بن هذيل الكفيف عالم أدباء الاندلس اخذ عنه صناعة الادب جماعة منهم الرمادي الشاعر القرطبي المشهور . وكان ابو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي حافظاً للآداب اماماً في علم الحساب مع انه كان اعمى مقعداً مشوه